عُمَيْرُ بْنُ وَهْب

شَيْطَانُ الجَاهِلِيَّة، وَحَوَارِيُّ الإِسْلَام

فى يوم «بدر»، كان واحدًا من قادة قريش الذين حملوا سيوفهم ليُجهزوا على الإسلام.

وكان حديد البصَر، محكَم التقدير، ومن ثمَّ ندبه قومه ليستطلع لهم عدد المسلمين الذين خرجوا مع الرسول للقَائهم، ولينظر إن كان لهم من ورائهم كمينٌ أو مَدَد...

وانطلق «عمير بن وهب الجمحى» وصَال بفرسه حول معسكر المسلمين، ثم رجع يقول لقومه: «إنهم ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصون» وكان حَدْسُه صحيحًا.

وسألوه: هل وراءهم أمدادٌ لهم؟؟ فأجابهم قائلا:

«لم أجد وراءهم شيئًا... ولكن يا معشر قريش، رأيتُ المطايا تحمل الموت الناقع... قوم ليس معهم مَنَعة ولا ملجأ إلا سيوفهم...

«والله ما أرى أن يُقتَل رجل منهم حتى يَقْتُلَ رجلا منكم، فإذا أصَابوا منكم مِثْلَ عددهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك..؟؟

«فانظروا رأيكم»...

وتأثَّرَ بقوله ورأيه نفرٌ من زعَماء قريش، وكادوا يجمعون رجالهم ويعودون إلى مكة بغير قتَال، لولا أبو جهل الذى أفسد عليهم رأيهم، وأضرم فى النفوس نَار الحقد، ونَار الحرب، التى كان هو أوَّلَ قَتْلَاهَا...

* * *

كان أهل مكة يُلَقبونه بـ: «شيطَان قريش»...

ولقد أبلى «شيطان قريش» يوم بدر بلاءً لم يُغْنه ولم يُغْن قومه شيئًا، فعَادت قوات قريش إلى مكة مهزومة مدحورة، وخلَّف «عمير بن وهب» فى المدينة بُضْعَة منه... إذ وقع ابنه فى أيدى المسلمين أسيرًا...

وذات يوم ضمَّهُ مجلس بابن عمه «صفوان بن أُميَّة»... وكان صفوان يمضغ أحقَاده فى مرارة قاتلة، فإن أباه «أُميَّة بن خلف» قد لقى مصرعه فى بدر، وسكنت عظَامُه القَليب.

جلس «صفوان» و«عمير» يجْترَّان أحقادهمَا...

وَلْنَدْع «عروَة بن الزبير» ينقل إلينَا حديثهما الطويل:

«قال صفوان، وهو يذكر قتلى بدر: والله ما فى العيش بعدهم خير..!!

وقال له عمير: صدقت، وَوَاللّهِ لولا دَيْنٌ عَلَىَّ لا أملك قضَاءَه، وعِيَالٌ أخشى عليهم الضيْعَة بعدى لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لى عنده علّةً أعتَلُّ بهَا عليه: أقول قدمت من أجل ابنى هذا الأسير.

«فاغتنمهَا صفوانِ وقال:

عَلَىَّ دَيْنك... أنَا أقضيه عنك... وعيَالُك مع عيالى أُوَاسيهم ما بقوا...

فقال له عمير: إذن فاكتم شأنى وشأنك...

ثم أمر «عمير» بسيفه فَشُحِذ لهُ وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة.

«وبينما «عمر بن الخطاب» فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، إذ نظر عمر، فرأى «عمير بن وهب» قد أَنَاخَ راحلته على باب المسجد، متوشحًا سيفه، فقال:

هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشرّ... فهو الذى حرَّش بيننا وحَزَرَنَا للقوم يوم بدر...

«ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبى الله هذا عدو الله «عمير بن وهب» قد جاء مُتَوشحًا سيفه..

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

أدْخِله عَلَيَّ.. «فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنُقُه فَلَبَّبه بهَا، وقَال لرجَال ممن كانوا معه من الأنصار، ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

«ودخل به عمر على النبى صلى الله عليه وسلم، وهو

آخذٌ بحمالة سيفه فى عُنقه فلما رآه الرسول قال: دعه يا عمر... ادْنُ يا عمير..

«فدنا عمير وقال: انعموا صباحًا، وهى تحية الجاهلية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام.. تحية أهل الجنة.

فقال عمير: أما والله يا محمد إن كُنتُ بها لحَديثَ عهد.

«قال الرسول: فما جاء بك يَا عمير..؟؟

قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم.

قال النبى: فما بال السيف فى عُنُقك..؟؟

قال عمير: قبَّحها الله من سيوف، وهل أغنَت عنَّا شيئًا..؟!

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أصدقنى يا عمير، ما الذى جئتَ له..؟

قال: ما جئت إلا لذلك.

«قال الرسول صلى الله عليه وسلم: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت. لولا دين علىّ، وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمّل لك صفوانُ بدينك وعيالك عَلَى أن تقتلنى له، واللّهُ حائلٌ بينكَ وبين ذلك.. !!!

«وعندئذ صَاح عمير: أشهد أنْ لا إلهَ إلا الله، وأشهد أنك رسول الله... هذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله ما أنبأك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام..

فقال الرسول لأصحابه: فَقِّهوا أخاكم فى الدين وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره».. !!

* * *

هكذا أسلم عمير بن وهب...

هكذا أسلم «شيطان قريش» وغشيه من نور الرسول والإسلام ما غشيه فإذا هو فى لحظة ينقلب إلى «حَوَارىٍّ» للإسلام.. !!

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

«والذى نفسى بيده، لخنزيرٌ كان أحبَّ إلىَّ من عمير حين طلع علينَا..

ولَهُوَ اليوم أحبُّ إلىَّ من بعض ولدى».. !!

* * *

جلس «عمير» يفكر بعمق فى سَماحة هذا الدين، وفى عظمة هذا الرسول:

وتذكَّر أيَّامه الخوالى فى مكة وهو يكيد للإسلام ويحاربه قبل هجرة الرسول وصحبه إلى المدينة.

ثم تذكَّر بلاءه وقتالَه يوم بدر..

ثم ها هو ذا يجىء اليوم متوشحًا سيفه ليقتل به الرسول.

كل ذلك يمحوه فى لحظة من الزمان قوله: «لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله»... !!

أيَّةُ سماحة، وأىُّ صفاء، وأية ثقة بالنفس يحملها هذا الدين العظيم.. !!

أهكذا فى لحظةٍ يمحو الإسلام كل خطاياه السالفة، وينسى

المسلمون كل جرائره وعداواته السابقة، ويفتحون له قلوبهم، ويأخذونه بالأحضان..؟!

أهكذا، والسيف الذى جاء معقودًا على شرٍّ طوِيَّة وشرٍّ جريمة، لا يزال يلمع أمام أبصارهم، يُنْسى ذلك كله، ولا يُذْكَر الآن إلا أن عُميرًا بإسلامه، قد أصبح - وفى لحظة واحدة - واحدًا من المسلمين ومن أصحاب الرسول، له ما لهم.. وعليه ما عليهم..؟!!

أهكذا، وهو الذى ودَّ عمر بن الخطاب منذ لحظتين أن يقتله، يصبح أحبّ إلى عمر من ولده وبنيه..؟؟!!

إذا كانت لحظة واحدة من الصدْق، تلك التى أعلن فيها عمير إسلامه، تحظى من الإسلام بكل هذا التقدير والتكريم والمثوبة والإجلال، فإن الإسلام إذن لهو دينٌ عظيم..!!

* * *

وفى لحظات عَرف «عُمير» واجبه تجاه هذا الدين.. أن يخدمَه بقدر ما حارَبه.. وأن يدعُوَ إليه، بقدر ما دعا ضِدَّه.. وأن يُرِىَ الله ورسوله ما يُحبُّ اللّهُ ورسولُه من صدق، وجهاد، وطاعة.. وهكذا أقبل على رسول الله ذات يوم، قائلا:

«يا رسول الله: إنى كنتُ جاهدًا على إطفاء نور الله،

شديدَ الأذى لمن كان على دين الله عزَّ وجلّ، وإنى أحب أن تأذَن لى فأقدُمَ مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعلّ الله يهديهم، وإلاَّ آذيتُهم فى دينهم كما كنتُ أوذِى أصحابك فى دينهم»..

* * *

فى تلك الأيام، ومنذ فارق «عمير» مكة متوجهًا إلى المدينة، كان «صفوان بن أُمية» الذى أغرى عميرًا بالخروج لقتل الرسول، يمشى فى شوارع مكة مختالا، ويغشى مجالسها وندواتها فرحًا محبورًا..!

وكلما سأله قومه وإخوته عن سرِّ فرحه ونشوته، وعظام أبيه لا تزال ساخنة فى حظائر بدر، يفرك كفّيه فى غرور ويقول للناس: «أبشرو بوقعة يَأتيكم نبأها بعد أيام، تُنسيكم وقعة بدر».. !!

وكان يخرج إلى مشارف مكة كل صباح يسأل القوافل والرُّكبان:

«ألم يحدُث بالمدينة أمر».

وكانوا يجيبونه بما لا يُحب ولا يَرضى، فما منهم من أحدٍ سمع أو رأى فى المدينة حدَثًا ذا بال..

ولم ييأس صفوان.. بل ظلَّ مُثابرًا على مُساءلَةِ الركبان، حتى لقى بعضهم يومًا فسأله: «ألم يحدث بالمدينة أمر»..؟؟

فأجابه المسافر: بلى، حدَث أمر عظيم..!!

وتهللت أسارير «صفوان» وفاضت نفسه بكل ما فى الدنيا من بهجة وفرح..

وعاد يسأل الرجل فى عَجَلة المشتاق: «ماذا حدث.؟ اقصُصْ علىّ».. وأجابه الرجل: «لقد أسلم «عمير بن وهب»، وهو هناك يتفقه فى الدين، ويتعلم القرآن»...!!

ودارت الأرض بصفوان.. والوَقعة التى كان يُبشر بها قومه. والتى كان ينتظرها لتنسيه وقعة بدر، جاءته اليوم فى هذا النبأ الصاعق لتجعله حُطامًا..!!

* * *

وذات يوم بلغ المسافر داره.. وعاد «عمير» إلى مكة شاهرًا سيفه، متحفزًا للقتال، ولقيه أول ما لقيه صَفوان بن أمية.. وما كاد يراه حتى هم بمهاجمته، ولكن السيف المتحفز فى يد

عمير ردَّه إلى صوابه، فاكتفى بأن ألقى على سمع عمير بعض شتائمه ثم مضى لسبيله...

دخل «عمير بن وهب» مكة مُسْلمًا، وهو الذى فارقها من أيام مشركًا.

دخلها وفى روعه صورة عمر بن الخطاب يوم أسلم، ثم صاح فَوْر إسلامه قائلا:

«واللّهِ لا أَدَع مكانًا جلستُ فيه بالكفر، إلَّا جَلَسْتُ فيه بالإيمان»..

ولكأنما اتخذ «عمير» من هذه الكلمات شعارًا، ومن ذلك الموقف قدوة، فقد صمم على نذر حياته للدين الذى طالما حاربَه.. ولقد كان فى موقف يسمح له بأن يُنزِل الأذى بمن يريد له الأذى.

وهكذا راح يُعوِّض ما فاته.. ويُسابق الزمن إلى غايته، فيبشر بالإسلام ليلا ونهارًا. علانيةً وإجهارًا..

فى قلبه إيمانه يَفيض عليه أمْنًا، وهدى، ونورًا..

وعلى لسانه كلماتُ حق، يدعو بها إلى العدل والإحسان والمعروف والخير...

وفى يمينه سيفه، يُرهب به قُطّاع الطرق الذين يَصُدُّون عن

سبيل الله مَن آمنَ به، ويَبْغونها عِوَجًا.

وفى بضعة أسابيع كان الذين هُدُوا إلى الإسلام على يد «عمير ابن وهب» يفوق عددهم كل تقدير يمكن أن يخطر بالبال.

وخرج «عمير» بهم إلى المدينة فى موكب طويل مُشرق.

وكانَت الصحراء التى يجتازونها فى سفرهم لا تكتم دهشتها وعجبها من هذا الرجل الذى مرَّ بها من قريب حاملا سيفه، حاثًّا خطاه إلى المدينة ليقتل الرسول.. ثم عَبَرها مرة أخرى راجعًا من المدينة بغير الوجه الذى ذهب به يُرَتل القرآن من فوق ظهر ناقته المحبورة.. ثم ها هو ذا يجتازها - أى الصحراء - مرة ثالثة.. على رأس موكب طويل من المؤمنين يملئون رحابها تهليلا، وتكبيرًا..

* * *

أجل إنه لنبأ عظيم.. نبأ «شيطان قريش» الذى أحالَتْه هداية الله إلى «حَوارىّ» باسل من حَوَارِيِّ الإسلام، والذى ظل واقفًا إلى جوار رسول الله فى الغزوات والمشاهد، وظلَّ ولاؤه لدين الله راسخًا بعد رحيل الرسول عن الدنيا.

وفى يوم فتح مكة لم ينس «عمير» صاحبه وقريبه «صفوان

ابن أُمية» فراح إليه يُناشده الإسلام ويدعوه إليه بعد أن لم يبق شك فى صدق الرسول، وصدْق الرسالة..

بَيْدَ أنَّ صفوان كان قد شد رحاله صَوْب «جُدَّة» لِيُبحِر منها إلى اليمن..

واشتدَّ إشفاق عمير على صفوان، وصمم على أن يسترده من يد الشيطان بكل وسيلة.

وذهب مسرعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له:

«يا نبىَّ الله، إن صفوان بن أُمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه فى البحر فأَمِّنْه صلى الله عليك، فقال النبى: هو آمِن.

«قال: يا رسول الله فأعطِنى آية يعرف بها أمانك. فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل فيها مكة»..

ولْنَدَع «عروة بن الزبير» يُكمل لنا الحديث:

«فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان، فِدَاك أبى وأمى.. اللَّهَ اللَّهَ فى نفسك أن تُهلكَها.. هذا أمانُ رسول الله صلى الله عليه

وسلم قد جئتك به..

«قال له صفوان: وَيْحَك، اغْرُب عنى فلا تكلمنى..

قال: أىْ صفوان.. فداك أبى وأمى، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ الناس، وأبَرُّ الناس، وأحْلَمُ الناس، وخيرُ الناس.. عِزُّه عِزُّك، وشَرَفُه شَرَفُك..

قال: إنى أخاف على نفسى..

قال: هو أحْلَمُ من ذاك وأكرم..

«فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

فقال صفوان للنبى صلى الله عليه وسلم: إن هذا يزعُم أنك قد أمَّنْتَنى..

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: صدَق..

قال صفوان: فاجعلنى فيه بالخيار شهرين..

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر».

وفيما بعد أسلم صفوان..

وسعِد عُمَير بإسلامه أيما سعادة..

* * *

وواصل «ابن وهب» مسيرته المباركة إلى الله، مُتَّبعًا أثَرَ الرسول العظيم الذى هدى الله به الناس من الضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور.